# الدرافيل

محمود سالم

# الدرافيل

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

# الدرافيل

محمود سالم

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٨١٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

# المحتويات


| | |
|---|---|
| من هم الشياطين الـ «١٣»؟ | ٧ |
| أبطال هذه القصة | ٩ |
| الفك المفترس! | ١١ |
| الشياطين ... ولقاء الدرافيل! | ١٧ |
| المفاجأة ... إجابة «خديجة»! | ٢١ |
| في انتظار «الدرافيل»! | ٢٥ |
| عم «عابد» ... هل ينضم للشياطين؟ | ٢٩ |
| معركة ... تحت الماء! | ٣٣ |

# من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

# أبطال هذه القصة

**رقم «١»:** «أحمد» من مصر.

**رقم «٢»:** «عثمان» من السودان.

**رقم «٣»:** «إلهام» من لبنان.

**رقم «٤»:** «هدى» من المغرب.

**رقم «٥»:** «بو عمير» من الجزائر.

**رقم «٦»:** «مصباح» من ليبيا.

**رقم «٧»:** «زبيدة» من تونس.

**رقم «٨»:** «فهد» من سوريا.

**رقم «٩»:** «خالد» من الكويت.

**رقم «١٠»:** «ريما» من الأردن.

**رقم «١١»:** «قيس» من السعودية.

**رقم «١٢»:** «باسم» من فلسطين.

**رقم «١٣»:** «رشيد» من العراق.

**رقم «صفر»:** الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

# الفك المفترس!

أمطرت السماء في ذلك اليوم مطرًا بلا حدود، حتى تصوَّر الشياطين أن المقر السري سوف يعوم في بحيرة من الماء، كانوا يقفون خلف زجاج الشرفة العريضة، يرقبون سيول المطر التي كانت تخفي كل شيء.

قالت «هدى»: إنه يوم رائع، فلَمْ أرَ مطرًا بهذه القوة!

ابتسمت «ريما» وقالت: ولهذا تقولين رائع؟!

صمتَتْ لحظةً ثم أضافت: إن اليوم الرائع، هو الذي نستمتع به!

ضحكت «هدى» وقالت: لهذا أقول إنه يوم رائع؛ لأنني أستمتع بالمطر تمامًا.

وثار الجدل بين الشياطين، حول معنى «رائع»، فقال «عثمان»: إنه فعلًا الشيء الذي أستمتع به!

قال «بوعمير»: إن وجهات النظر تختلف، فقد تحب «هدى» المطر، وقد لا تحبه «ريما»؛ ولهذا فإن المعنى يأتي من وجهة نظر كلٍّ منهما!

واشتد الجدل مرة أخرى، بينما كان «أحمد»، يرقب حبَّات المطر الكبيرة وهي تتساقط في خط مستقيم، وقد انغمس تمامًا في ملاحظاته، حتى إنه لم يشترك معهم في الحديث. لكن «مصباح» الذي نظر إليه، ورأى استغراقه وتأمله، أراد أن يداعبه، فقال: يبدو أن «أحمد» من حزب «هدى»؛ إنه هو الآخر استغرق في التفكير في المطر.

لكن «أحمد»، لم يسمع مداعبة «مصباح»، فقد كان مشدودًا بكل حواسه في تأمل لحظة هطول المطر.

قالت «زبيدة» تناديه: «أحمد»، ألستَ معنا؟!

انتبه «أحمد» فجأةً، فاستغرق الشياطين في الضحك، بينما تساءل هو: ماذا هناك؟

لكن قبل أن يجيب أحدهم، كان هناك صوت صفارة متقطع يتردَّد، حتى إن الشياطين توقفوا فجأة عن الضحك، لقد كانت تلك الصفارة تعني أن ينضموا إلى غرفة الاجتماعات سريعًا، ابتسمت «زبيدة» وقالت: لقد أنقذَتِ الدعوة «أحمد» من الحديث!

وبسرعة، كانوا يأخذون طريقهم إلى قاعة الاجتماعات الصغرى، التي لم تكن تبعد عنهم كثيرًا، في الطريق إلى القاعة قال «بوعمير»: إن الخروج في مغامرة الآن يبدو غير منطقي، فكيف يمكن أن نتحرك تحت هذه السيول؟!

ردَّ «فهد»: إن المطر يا عزيزي نعمة من السماء للذين يبحثون عن قطرة ماء؟!

ثم أضاف بعد لحظة: إن هذا يعني أن فيضان النيل سوف يكون عاليًا هذا العام.

ضحك «بوعمير» وقال: «اسأل «عثمان»، فهو الذي يعرف أكثر منا بحكم موقعه.

كان الشياطين قد بدءوا يدخلون القاعة، التي كانت الأضواء فيها خافتة تمامًا، فعلَّقَتْ «إلهام» قائلة: إنها إضاءة رومانسية جدًّا، ويبدو أننا سنقوم بمغامرة هادئة!

ضحك الشياطين لهذه الكلمات التي أطلقتها «إلهام»، وعلَّق «فهد»: إنها كذلك تصبح مغامرة رائعة!

وضحكوا جميعًا لحظةً، ثم أخذت الإضاءة الخافتة تنسحب في هدوء، في نفس الوقت الذي أخذت فيه الخريطة الإلكترونية في الظهور، عندما أظلمت القاعة تمامًا، برزت على الخريطة قارة أفريقيا، فقالت «إلهام»: يبدو أن المطر كان مقدمة للمغامرة!

ظلت القارة الأفريقية لحظة فوق الخريطة، كان مستطيلها العلوي ومثلثها السفلي يغرقان في المياه الزرقاء، حيث يحدها من الشرق المحيط الهندي والبحر الأحمر، ومن الغرب المحيط الأطلنطي، ومن الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب لقاء المحيطين الهندي والأطلنطي الذي يسمونه المحيط الجنوبي. قال «عثمان» بإعزاز: هذه قارتنا العظيمة!

ردَّ «خالد»: نرجو أن تكون مغامرتنا فيها!

فجأةً، خرج سهم أحمر من المحيط الأطلنطي، ودائرة واسعة ضمَّت جزءًا من القارة ... قالت «هدى» بفرح: «هذه منطقتنا».

أخذت أطراف الخريطة تختفي في المياه الزرقاء، حتى أصبح السهم الأحمر يدور حول المملكة المغربية. نظر الشياطين إلى «هدى»، ثم علَّق «بوعمير»: «يبدو أننا سوف نكون ضيوفًا على «هدى».

ابتسمت «هدى» وقالت: إن ذلك سوف يسعدني تمامًا!

لكنها قالت بعد لحظة: أرجو ألا تكون مملكتنا قد تعرضت لسوء!

بدأت تفاصيل المملكة المغربية في الظهور ... ميناء «طنجة»، «الدار البيضاء»، «الرباط»، «أغادير»، ثم قفز سهم أخضر ودار حول قرية صغيرة اسمها «أصيلة» تقع على المحيط الأطلنطي.

قال «خالد»: هذه قرية شديدة الجمال والأناقة، وقد حضرتُ فيها أحد المهرجانات الفنية، ويُسمُّونه موسم «أصيلة» الثقافي، وفيه يجتمع الفنانون من شتى بقاع العالم.

قالت «هدى»: إن ضربات قلبي تسرع جدًّا الآن!

فجأةً، جاء صوت رقم «صفر» يقول: لا داعي لذلك، فهذه ليست أول مغامرة تقومين بها، بجوار أن «أصيلة»، بل والمغرب كله، جزء من الوطن العربي الكبير، وعندما يتعرض جزء منه إلى خطرٍ ما فإن بقية الأجزاء، يجب أن تقف معه!

صمتَ لحظةً ثم قال: نحن ما زلنا في دائرة المخدرات!

اتسعَتْ عينا «هدى»، وهمسَتْ: مخدرات! كيف؟!

جاء صوت رقم «صفر» يقول: إن القوى المدمِّرة، لا تترك مكانًا إلا وتضع قدميها فيه، ومنطقتنا العربية مُعرَّضة، ربما أكثر من غيرها، لغزو المخدرات؛ لأنه سلاح قاتل، بلا حرب واضحة. وعندما يكون المغرب مُستهدَفًا، فإن ذلك يعني أن منطقة المغرب العربي كلها؛ الجزائر وتونس وليبيا والمغرب طبعًا، تكون هدفًا هي الأخرى.

صمتَ لحظة، ثم قال: سوف آتيكم حالًا!

نظرَتْ «هدى» إلى الشياطين، كانت عيناها تلمعان، فقال «أحمد» مبتسمًا: سوف نعرف حالًا ما هي القضية، وأظن أن هذه ليست أول قضية نقابلها من جرائم هذا العصر، فقد كانت هناك حرب المخدرات التي حقَّقنا فيها انتصارًا هائلًا عندما قبضنا على أحد رءوسها الكبار، وإذا كان المغرب هدفًا جديدًا لهم، فنحن قادرون على التصدي له.

همسَتْ «هدى»: أعرف ذلك يا عزيزي «أحمد»، وإن كان خوفي رغمًا عني!

ابتسم «أحمد» لهذا التعبير، بينما كان صوت أقدام رقم «صفر» يقترب، كانت الخريطة لا تزال مضاءة، وكانت الدائرة الخضراء لا تزال تدور حول قرية «أصيلة»، في نفس الوقت، كان الشياطين في انتظار أن يبدأ رقم «صفر» عرض مغامرتهم الجديدة، توقَّف صوت أقدام رقم «صفر»، وجاء صوته يُحيِّي الشياطين، ثم قال: إن منطقتنا العربية، التي تمتد داخل آسيا وأفريقيا، من المناطق المُستهدَفة تمامًا من تجار المخدرات، ليس هذا فقط، وإنما هي أيضًا ألاعيب سياسية تقوم بها جهات أجنبية لتعطيل مسيرة التنمية في منطقتنا.

صمتَ لحظة ثم أضاف: وأنتم تعرفون أن الحروب قد أخذَتْ أشكالًا مختلفة، ولم يَعُد السلاح هو العنصر الوحيد في الحرب، فهناك الحرب الاقتصادية، وهناك حرب التجويع، وهناك الحرب النفسية، وهناك الحرب الثقافية، وهناك أيضًا حرب المخدرات، وأنتم تعرفون أن المخدرات إحدى هذه الحروب القاتلة، فهي لا تقتل الشباب فقط، إنها تدمرهم، وتتركهم عالةً على البلاد، بجوار أنها تعطل مسيرة أي شعب، فهو ساعتها لا يدري هل يظل في مسيرة البناء، أو يقف مدافعًا عن قواه البشرية التي تقتلها المخدرات! إن هناك مليارات الدولارات تنزل السوق من أجل تحطيم الدول، ولعلكم عرفتم من خلال مغامرات سابقة ماذا يحدث في أمريكا اللاتينية.

سكتَ لدقائق، ثم قال: إن مغامرتكم الجديدة، تسير في نفس الاتجاه للدفاع عن طاقتنا الشبابية وقواتنا البشرية ضد هذه الحروب الجديدة والمخيفة، التي هي حرب العصر، وهي حرب المخدرات، فقد ظهرَتْ في المغرب العربي كميات هائلة منه، ولقد عمل بعض عملائنا في هذه المنطقة بجد شديد، وكانت ملاحظاتهم هي التي أوصلتنا إلى مغامرتكم الجديدة، وهي مغامرة الدرفيل.

ظهرَتِ الدهشة على وجوه الشياطين؛ فقد كان الاسم غريبًا، لكن صوت رقم «صفر» جاء يقول: «لقد ظهرت «الدرافيل» بكثرة عند قرية «أصيلة» التي حددها السهم الأخضر على الخريطة، وهي قرية سياحية جميلة ووديعة تعيش في هدوء، والصيد هو الحرفة الرئيسية لسكان «أصيلة»، لكن فجأة ظهرت «الدرافيل» في هذه المنطقة، في نفس الوقت الذي ظهرت فيه المخدرات، وبالبحث الذي قام به عملاؤنا هناك، ربطوا بين ظهور «الدرافيل» وظهور المخدرات، وجاء السؤال: هل هناك علاقة حقيقية بين الاثنين؟ وهل يكون للدرافيل دور في جلب المخدرات إلى هذه المنطقة؟!»

صمت رقم «صفر»، وكأنه يعطي للشياطين وقتًا لكي يبحثوا في رءوسهم عن إجابة للسؤال. مرَّتْ دقائقُ، كان الصمت يخيم فيها على القاعة، حتى كان صوت أنفاس الشياطين يبدو واضحًا. قطع صوت رقم «صفر» السكون قائلًا: «أنتم تعرفون أن هناك خدعًا كثيرة تستخدمها العصابات في تحقيق أهدافها، وهذه العصابات تعرف أن السلطات المغربية يقظة تمامًا، ولذلك فهي تحاول أن تبتدع أساليب جديدة، وربما غريبة لا تلفت نظر أحد؛ حتى تحقق أهدافها».

فجأةً، اختفت الخريطة، وجاء صوت رقم «صفر» يقول: «أنتم شاهدتم فيلم «الفك المفترس»، هذا القرش الغريب الذي ظهر ليلتهم الناس، هل هذا القرش حقيقي؟ هل هو

سمك القرش الذي يوجد في المحيطات بكثرة؟ طبعًا لا؛ فسمكة القرش السينمائية ليست هي سمكة القرش الطبيعية أو الحقيقية».

فجأةً، لمعت لمبة حمراء في أعلى الخريطة، فقال رقم «صفر»: سوف أعود إليكم حالًا، فيبدو أن هناك رسالة ما.

أخذ صوت أقدامه يتباعد، بينما غرق الشياطين في التفكير ...

# الشياطين ... ولقاء الدرافيل!

قطع تفكيرهم ظهور فيلم «الفك المفترس» على شاشة الخريطة الإلكترونية، وهو عبارة عن سمكة قرش غير حقيقية، مزودة بموتور صغير يجعلها تتحرك وفقًا لسيناريو الفيلم.

قال «أحمد»: لقد شاهدناها عندما كنا نزور استوديوهات «يونيفرسال» الأمريكية، أنتم تتذكرون ذلك، عندما ركبنا مركبًا صغيرًا في بحيرة صغيرة، وظهر الفك المفترس، أو هذه الخدعة السينمائية فجأة، وكأنها تريد أن تلتهمنا، وشاهدنا كيف يُصاب الناس بالذعر عند ظهورها، مع أنها لا تفعل شيئًا، إلا أنها خدعة تقترب من الحقيقة!

كان الشياطين يتابعون الفيلم، الذي يقوم على خدعة تقول إنَّ سمكةَ قرشٍ ضخمة تظهر عند شاطئ إحدى البلاد، وتهدِّد الناس، حتى إنهم لا يستمتعون بصيفهم في البحر؛ فهي تلتهم كل من يقع في دائرتها، ومن خلال سيناريو محكم جدًّا، وتصوير بارع، يعيش الناس بخيالهم مع هذه السمكة المتوحشة. كان الفيلم مسليًّا فعلًا، ورغم أن الشياطين شاهدوه من قبل، ورغم أنهم شاهدوا السمكة السينمائية على الطبيعة، إلا أنهم انهمكوا في مشاهدته مرة أخرى، غير أن «أحمد» كان يفكِّر بطريقة أخرى، كان مشغولًا بحكاية الدرافيل، وربطها بسمكة القرش في «الفك المفترس».

قال «أحمد» لنفسه: إنها يمكن أن تكون خدعة، استغلها تجار المخدرات في تهريب المخدرات إلى داخل المنطقة، وما دام يمكن تحريكها، فإن إطلاقها في الماء ثم توجيهها بطريقة معينة، يمكن أن يؤدي إلى تحقيق الهدف.

نظر إلى الشياطين الذين كانوا مُنهمِكِينَ في مشاهدة الفيلم، وابتسم وهو يقول لنفسه: «إنه فيلم مسلٍّ فعلًا».

فجأةً، توقف عرض الفيلم، وأصبحت الشاشة بيضاء ... قال «عثمان»: إنها خدعة ذكية.

ردَّ «بوعمير»: ولذلك كسب الفيلم الملايين!

وقال «فهد»: ويمكن أن تكسب هذه الخدعة مليارات، وليست ملايين فقط!

نظر له «أحمد» وسأله: ماذا تعني؟

قال «فهد»: إن استخدام نفس الخدعة بطريقة أخرى يمكن أن تحقِّق مكاسب كبيرة.

ثم ابتسم قائلًا: لهم طبعًا ... وأنت تفهمني.

قال «خالد»: إنها مسألة لا تغيب عن البال، فبينما كنت أتابع الفيلم لمَعَتْ في رأسي فكرة، أن تكون هناك «درافيل» بنفس الطريقة!

ابتسم «أحمد» وقال: هل فهم الشياطين شيئًا؟

ردَّت «هدى»: نعم، إننا جميعًا قد توصَّلنا إلى نفس الفكرة، وهي ليست غامضة، بل إنني فكَّرت فيها عندما ذكر ذلك رقم «صفر»، إلا أنني أجَّلْتُ إعلانها حتى ينتهي الفيلم.

قال «أحمد»: رائع أن نفكِّر جميعًا في شيءٍ واحدٍ، وفي وقت واحد أيضًا.

قالت «إلهام»: هذه ليست مسألة جديدة على الشياطين، فهم يفكرون دائمًا وكأنهم عقل واحد.

قطع كلامهم صوت رقم «صفر» يقول: لقد كنت متأكدًا من ذلك، فأنا أعرف كيف يفكِّر الشياطين.

ثم أضاف بعد لحظة: إنني في الطريق إليكم!

نظر الشياطين إلى بعضهم، فقال «مصباح»: أعتقد أننا يمكن أن ننطلق الآن.

ابتسم «أحمد» وقال: نعم نستطيع، لكننا في انتظار أوامر رقم «صفر»، بجوار أن الزعيم يمكن أن تكون قد وصلته معلومات جديدة.

كانت أقدام رقم «صفر» تقترب، وعندما توقفت، قال: نعم ... لقد وصلتني معلومات جديدة الآن من عميلنا في المغرب، وأظن أنها سوف تفيدكم كثيرًا.

صمت لحظةً، ثم قال: بعد تحريات وأبحاث عملائنا في المنطقة، اتضح أن مجموعة من الصيادين الغرباء قد نزلوا قرية «أصيلة»، واتضح أنهم من أمريكا اللاتينية أو الجنوبية، وهم لم يظهروا حديثًا، فقد وصلوا منذ عدة أشهر، جاءوا أولًا بمراكب صيد عادية ... ثم سكنوا القرية، وكعادتنا نحن العرب، نساعد الضيف أو الغريب ولا نشك فيه، وقد ساعد صيادو «أصيلة» وأهلها هؤلاء الصيادين الغرباء، فاستقروا بينهم وسكنوا القرية، ومرت شهور دون أن يظهر شيء، لكن يبدو أن الخطة كانت موضوعة منذ فترة، ويجري تنفيذها على مراحل، فعندما ظهرت المخدرات في المنطقة، لم يلفت نظر أحد وجود هؤلاء الصيادين الغرباء، ثم فجأة ظهرت «الدرافيل» بكثرة.

صمت قليلًا ثم أضاف: أنتم تعرفون أن قرية أصيلة تقع على شاطئ المحيط الأطلنطي، ويصبح طبيعيًّا أن تظهر «الدرافيل» في المحيط أمام القرية، و«الدرافيل» كما تعرفون صديق للصياد، ولذلك فإن ظهوره لا يلفت نظر أحد، وليست له سوى دلالة واحدة، وهي وجود الأسماك ... ولهذا لم يعلِّق أحد على المسألة أو فكَّر فيها.

سكت رقم «صفر»، ومرَّتْ دقائق، كان الشياطين خلالها ينتظرون عودته إلى الكلام، لكن الدقائق طالت، نظر «بوعمير» إلى «أحمد» الذي هز رأسه ليفهم أنها مسألة عادية، ثم جاء صوت الزعيم يقول: أمامكم نقطتان في المغامرة، أن تتأكدوا أولًا من أن ظهور «الدرافيل» له ارتباط بظهور المخدرات بكثرة في المنطقة، ثانيًا كيف نقضي على هذه الكارثة التي تهدِّد بلادنا؟!

سكت من جديد، لكن هذه المرة لم يَطُل سكوته، فقد جاء صوته يقول: ليست لدي أية تفاصيل أخرى يمكن أن أقدمها لكم، فقد عرفتم المهمة، وعرفتم احتمالاتها، وعليكم أن تصلوا معها إلى نتيجة!

ثم أضاف: هل من أسئلة؟

مرَّتْ دقائق صامتة، لم يكن أيٌّ من الشياطين يفكِّر في شيء آخر، كانت أفكارهم تتجمع عند تحديد مجموعة المغامرة ثم الانطلاق، وبسرعة قال الزعيم: إذن، فإن مجموعة المغامرة يقودها «أحمد»، ومعه «بوعمير» و«مصباح» و«باسم» ... توقف لحظة، كان الشياطين ينظرون إلى «هدى» التي ظهرت الدهشة على وجهها، فلم يذكرها الزعيم حتى هذه اللحظة، غير أن صوته جاء يقول: و«هدى» طبعًا مع المجموعة!

ظهر الارتياح على وجه «هدى» وقد جاء صوت الزعيم يقول: كنت أفكِّر في أن نعفي «هدى» من هذه المغامرة، فأنا أخشى أن تنكشف وهي من أبناء المغرب.

قالت «هدى» بسرعة: أعتقد أن ذلك سوف يكون في صالح المغامرة، عندما أنضم إلى المجموعة فإن ذلك سوف يعطي لها شكلًا عاديًّا أكثر.

جاء صوت الزعيم يقول: وهذا ما فكَّرْت فيه أيضًا!

سكت لحظةً ثم قال: الآن يمكن أن تنطلقوا، أما بقية الشياطين فعليهم أن يكونوا على استعداد، فمَن يدري إلى أين يمكن أن تسبح «الدرافيل»؟

ابتسم الشياطين لهذه المداعبة السريعة.

انتظروا لحظةً، فقد بدأت أقدام رقم «صفر» تبتعد، ثم أخذوا ينصرفون في هدوء، كانت «هدى» أسرعهم في الانصراف، لكن «أحمد» استوقفها وهو يقول: سوف نلتقي بعد عشر دقائق!

أخذ الشياطين طريقهم إلى غرفهم، وعندما وصل «أحمد» إلى غرفته، وجد رسالة من رقم «صفر» على جهاز التليفزيون تقول: «يجب الانتهاء من المغامرة بسرعة». ابتسم «أحمد»، وقال بصوت مسموع: سوف يتحقق ذلك أيها الزعيم.

وبسرعة جهز حقيبته، ونظر في ساعة يده، كانت خمس دقائق قد مرَّتْ، فقال في نفسه: «إن الدقائق الباقية كافية لأنْ أصِلَ إلى هناك».

عند الباب توقف لحظة، ثم فكَّر: «تُرى هل سوف نحتاج إلى ملابس للغطس؟» ولكن لم يجب عن السؤال مباشرة، كان يقلب السؤال في ذهنه، ثم قال لنفسه: «إنها قد تلفت النظر».

لكنه عاد يقول: «ومع ذلك فقد نحتاجها» ... ثم أسرع إلى دولابه، وأخرج ملابس الغوص الخاصة ووضعها في حقيبته، أسرع إلى التليفون وضغط عدة أزرار، ثم رفع السماعة، ظل ينتظر أن يجيبه أحد، إلا أن الطرف الآخر لم يجب إلا بصوت رنين جرس خافت، وضع السماعة وهو يقول لنفسه: «يبدو أنهم انصرفوا، وسوف تكون هذه مشكلة، إذا لم يكن كلٌّ منهم قد أخذ معه الملابس الخاصة بالغوص». خرج وأغلق الباب بهدوء، واتجه إلى حيث نقطة اللقاء.

وهناك، كانت المجموعة في انتظاره، وقبل أن يبدأ في طرح السؤال عليهم، سألته «هدى»: هل أحضرتَ ملابس الغوص؟

ابتسم وهو يقول: لقد فكَّرْتُ أن أذكِّرُكم!

قال «بوعمير» مبتسمًا: الشياطين دائمًا يفكِّرون بطريقة واحدة!

قفزوا داخل السيارة، وجلس «باسم» إلى عجلة القيادة، وانطلق كالسهم خارجًا من المقر السِّري، وعندما تجاوز المبنى وخرج إلى الفضاء، كانت السماء لا تزال تمطر نفس المطر الشديد، فأعمل المسَّاحات، إلا أن هطول المطر بشدة جعله لا يرى الطريق جيدًا.

قالت «هدى»: أظن أن المطر سوف يعوق تقدُّمنا سريعًا!

ابتسم «باسم» وقال: لا تنسي يا عزيزتي «هدى» أن هذه ليست سيارة عادية!

ضغط عدة أزرار في تابلوه السيارة، ثم قال: الآن، نستطيع أن نطير فوق الأرض.

وفعلًا، كانت السيارة تنطلق بسرعة رهيبة حتى تكاد ترتفع عن الأرض، وأخيرًا كان الشياطين في طريقهم إلى لقاء «الدرافيل».

# المفاجأة ... إجابة «خديجة»!

كانت الساعة تقترب من الثالثة عصرًا، عندما نزلت الطائرة مطار «الدار البيضاء» في المملكة المغربية، وعندما غادروا المطار، كانت سيارة سوداء ماركة «ستروين» في انتظارهم، فكر «أحمد» لحظة ثم قال: ينبغي ألا ندخل «أصيلة» بهذه السيارة، فسوف نلفت إلينا الأنظار!

ردَّ «مصباح»: هذه وجهة نظر صحيحة، فالمفروض أننا سوف نندَسُّ بين الصيادين، ولهذا ينبغي أن نَصِلَ إلى هناك بالأتوبيس!

قالت «هدى»: إذن، علينا أن نركب إلى ميناء طنجة، ثم نركب الأتوبيس من هناك إلى «أصيلة»، فهي لا تبعد عنها سوى أربعين كيلومترًا.

استقلَّ الشياطين السيارة «الستروين» السوداء إلى «طنجة»، كان الطريق ممتعًا، والسيارة تنهب الأرض، كانت الجبال تحيط بشريط الأسفلت الأسود، وكانت الجبال كلها مكسوة بخضرة جميلة.

قال «بوعمير» وهو يلقي بنظره بعيدًا خارج زجاج نافذة السيارة: لم أرَ أجمل مما رأيتُ اليوم.

ابتسمت «هدى» وسألت: ماذا تقصد؟

قال «بوعمير»: منظر المدن المغربية من الطائرة تبدو كأنها طيور النورس البيضاء، وقد رقدت وسط الخضرة!

علَّقت «هدى»: هذا وصف شاعر!

ردَّ «بوعمير»: إنها الحقيقة، هذه المدن البيضاء الجميلة تجعل الإنسان يشعر بالحب لها حتى قبل أن يتعامل معها!

ثم أضاف بعد ذلك: أتمنى أن أقوم برحلة داخل المغرب أرى فيها هذا الجمال الذي لم أستمتع به طويلًا!

ابتسمت «هدى» وقالت: إذن، فأنت مدعوٌّ لهذه الزيارة، ولو أنها ليست زيارة، فأنت في بلدك.

قال مبتسمًا: هذا حقيقي ... إنني أشعر بالقرب من مدينتكم.

قالت «هدى»: ومدينتك أيضًا.

ثم استغرق الشياطين في تأمل الطبيعة الجميلة حولهم، لكن ذلك لم يستمر، فقد قالت «هدى»: إننا نقترب من «طنجة»!

وعندما وصلت السيارة وسط المدينة النظيفة تمامًا، قال «أحمد»: ينبغي أن ننزل هنا.

ثم سأل بسرعة: هل يبعد موقف الأتوبيس كثيرًا.

قالت «هدى»: خمس دقائق فقط سَيْرًا على الأقدام.

غادر الشياطين السيارة، وقطعوا المسافة وسط المدينة في اتجاه شاطئ المحيط الأطلنطي، الذي يقع عليه الميناء الكبير، كان الجو بديعًا، ونسمات باردة نوعًا تبعث في النفس النشاط، لم يشعر الشياطين بالغربة في المكان، فالناس يتحدثون العربية بلكنة خاصة ومفهومة، وعربات صغيرة منتشرة تبيع الحلوى، وحدائق ممتدة بامتداد الشاطئ ...

قال «أحمد»: إنها تذكرني بالإسكندرية!

ابتسم «باسم» وقال: إنها ميناء هي الأخرى!

وصلوا إلى موقف الأتوبيس، كانت أصوات الباعة ترتفع مع أصوات المنادِينَ على الأتوبيس، اتجهوا إلى حيث يقف أتوبيس «أصيلة»، فقد كان هناك عدد آخر من الأتوبيسات يصل إلى أماكن أخرى، أخذوا أماكنهم فيه، ولم تمضِ دقائق حتى كان الأتوبيس يتحرك في اتجاه «أصيلة».

نظر «أحمد» من نافذة الأتوبيس، وقال: إن الشارع العربي لا يختلف من مكان إلى مكان ... فالشارع في دمشق يمكن أن نجده في «القاهرة» أو «الرباط» أو «بني غازي» أو «عمان»، ولهذا لا يشعر العربي بالغربة في أي مكان عربي!

علَّق «مصباح»: هذه حقيقة، وهي ملاحظة جديرة بالتأمل!

مرة أخرى ظهر الطريق الأسفلتي، والخضرة التي تكسو الجبال إلى امتداد البصر، مرَّت حوالي ثلث ساعة، فقالت «هدى»: إننا نقترب من «أصيلة»، فبعد عشر دقائق سوف نكون في قلب القرية، مرَّت الدقائق سريعة، وبدأت تظهر ملامح القرية، كانت عبارة عن مدينة صغيرة تمتد على ساحل المحيط الأطلنطي ... الشوارع نظيفة تمتد الخضرة من

مساحات كثيرة منها، توقَّف الأتوبيس فنزل الشياطين. قالت «هدى»: إن لي صديقة تُدعى «خديجة»، وأهلها يحترفون حرفة الصيد.

لمعت أعين المجموعة وقال «باسم»: ولماذا تُخفين؟!

ابتسمت قائلة: أردتُ أن تكون مفاجأة، وإذا كان الزعيم قد اختار أحدًا غيري لكنتُ قد فجَّرْتُ المفاجأة حتى آتي إلى هنا.

قال «أحمد»، مبتسمًا: لقد اختصرتِ كثيرًا من جهودنا!

ابتسم «بوعمير»، وقال: إذن، علينا بالآنسة «خديجة» سريعًا!

تقدمتهم «هدى» خروجًا من وسط القرية إلى شاطئ المحيط ... صاح «باسم» فجأة: ما هذا الجمال؟

ثم أشار بيده، وتبعته أعين الشياطين، كانت هناك قلعة قديمة تقف في روعة على شاطئ المحيط وقد التفَّ حولها سور ضخم.

قالت «هدى»: سوف نمرُّ من أمامها إلى حيث بيت «خديجة».

كانت الشمس قد بدأت تميل إلى الغروب، وانتشر اللون الأحمر فوق الأشياء، ووصلوا إلى صحن القلعة. وقف «باسم» مشدوهًا وهو يرفع وجهه إلى المبنى الذي يرتفع إلى عدة أدوار ...

قالت «هدى»: هنا في هذه الساحة تُقام المهرجانات الفنية.

هتف «باسم»: إنه اختيار بديع للتاريخ والفن معًا!

كان «أحمد» مستغرقًا في مشاعر رقيقة، كان يشعر بالمتعة لتلك اللوحات الطبيعية المتتالية، فقد نزلت قدماه أرض المغرب من قبل، ابتسمت «هدى» وقالت: ينبغي أن نذهب إلى «خديجة» ... وسوف نعود هنا كثيرًا.

تحرَّك الشياطين يقطعون ساحة القلعة حتى خرجوا منها. وبدأت خطواتهم تتجه إلى الشوارع الضيقة التي تتكون منها القرية، عند أول بيت وقف «باسم» صائحًا: هل هذا هو البيت؟!

كان البيت الذي يشير إليه تحفة معمارية جميلة، غطَّت واجهته مربعات القيشاني الملونة ... ويبدو الطابع العربي واضحًا فيه، ردَّت «هدى»: نعم بيت، وكل البيوت في قريتنا هكذا، تبدو كأنها عمل فني!

قال «مصباح»: أشعر أننا داخل حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة ...

ابتسمت «هدى» وقالت: لا أظن أنا سوف نقضي أيامنا في مشاهدة طِرْزِ البيوت.

ثم أضافت: إنني أكرِّر الدعوة لكم جميعًا، لقضاء عدة أيام هنا!

استمر الشياطين في طريقهم خلف «هدى»، وهم يمرون بين البيوت في حواري ضيقة ... قالت «هدى»: عادة تكون شوارع المدينة والقرى الساحلية هكذا ضيقة وملتوية حتى تحمي الناس من رياح البحر.

عند بيت أبيض، واجهته أيضًا من القيشاني الملون، وقفَتْ «هدى»، فوقف الشياطين، طرقَتِ الباب في هدوء، ولم تمضِ لحظة حتى فُتح الباب، وأطلَّ منه صبي صغير، سألته «هدى»: «خديجة» موجودة؟

ردَّ الصبي: مَن أنتِ؟

ردَّت «هدى»: «هدى» ... قل لها إن صديقتكِ «هدى» بالخارج.

قال الصبي مبتسمًا: إذن، تفضَّلوا حتى أستدعيها!

دخلت «هدى» وتردَّدَ الشياطين، نظرَتْ إليهم باسمةً وقالت: تفضلوا؛ فنحن لسنا أغرابًا على أي بيت هنا!

كان الصبي قد اختفى، ولم يكد الشياطين يدخلون صحن البيت، حتى كان صوت يهلِّل: عزيزتي «هدى» إنني لا أصدق!

كان الصوت صوت خديجة، فتاة في مثل سن «هدى»، رقيقة الملامح، سمراء، مبتسمة، طويلة الشعر، أنيقة الثياب البسيطة، احتضنت «هدى» في إعزاز، ثم نظرَتْ إلى الشياطين قائلة: أهلًا بكم في بيتكم.

ردَّ الشياطين تَحِيَّتها، وقالت «هدى»: هؤلاء أصدقائي وزملائي؛ «أحمد» من مصر.

قاطعتها «خديجة» صائحة: من مصر، إذن أهلًا ... وسهلًا.

نظر «أحمد» إلى «هدى»، فهذه أول مرة يعرف أحدٌ أسماءهم الحقيقية، إلا أن «هدى» ردَّتْ بابتسامة وقالت: لا بأس في بلادنا أن نظهر كما نحن، فهذه مسألة لا تلفت نظر أحد.

ثم قدَّمت بقية الشياطين، رحَّبت بهم خديجة كثيرًا، ثم قالت: كنتُ أتمنى أن يكون والدي هنا حتى يستقبلكم، لكنه في البحر.

سألت «هدى»: للصيد كالعادة.

وجاءت المفاجأة في إجابة «خديجة»، إجابة لم يكن يتوقعها الشياطين؛ حتى إن أعينهم قد لمَعَتْ من الدهشة.

# في انتظار «الدرافيل»!

كانت إجابة «خديجة»: إن والدي يعمل مع مجموعة من الصيادين، جاءوا إلى «أصيلة» منذ شهور، وهم يخرجون إلى الصيد ويغيبون أيامًا طويلة!

ثم أضافت: إنهم يستخدمون أجهزة حديثة في الصيد لم يعرفها الصيادون في بلادنا من قبل.

كان الشياطين يتابعون حديثها باهتمام؛ فهم يرون أنهم يقتربون فعلًا مما يريدون، دون حاجة إلى جهد كبير، أضافت «خديجة» ضاحكةً: والطريف أن «الدرافيل» قد ظهرَتْ بكثرة منذ جاءوا إلى هنا، ونحن نرى «الدرافيل» من على بُعد، وعادة تكون في أعداد قليلة، أما الصيادون فهم على علاقة بهذه المخلوقات الطيبة!

ثم فجأةً قالت: ماذا تشربون؟ أم أنكم في حاجة إلى طعام؟!

ابتسمت «هدى»: وقالت: نحن في حاجة إلى أكواب الشاي بالنعناع الأخضر، وأظن أن الأصدقاء لم يتعرَّفوا بعدُ على الشاي المغربي.

عندما ابتعدَتْ «خديجة»، قال «مصباح» بسرعة: لقد اشتركَتْ «خديجة» في مغامرتنا دون أن تدري.

ردَّ «بوعمير»: بالتأكيد، وأظن أننا سوف نحتاجها كثيرًا!

قال «باسم»: إنني في حاجة إلى الراحة، فما قالته «خديجة» كان مفاجأة جعلَتْني أكاد أقفز من الفرح، في نفس الوقت أتمنى أن أنام!

ابتسم «أحمد» وقال: هذه ليست عادتك، فسوف نخرج لنشاهد القلعة ونتحدث إلى «خديجة» كثيرًا.

أضاف «بوعمير»: إننا لم نشاهد القرية بعدُ، وهذه فرصة قبل أن يعود والد «خديجة»، أو أنكم سوف تبدءون قبل أن يعود من رحلة الصيد.

أجاب «أحمد»: علينا أن ننتهز الفرصة ونرى الميدان الذي سوف نتحرك فيه.

عادت «خديجة» بالشاي وهي تقول: أين تنزلون؟!

وقبل أن يردَّ أحد، أضافت: إن لدينا «مَضْيَفة»؛ أعني مكانًا للضيوف، وأظن أنكم لن تبخلوا عليَّ بالسعادة، فتقبلوا دعوة النزول عندنا، هذا بالإضافة إلى أنه يُسعدني، فإنه سوف يعطيني فرصة أن أجلس فترة أطول مع «هدى» التي لمْ أرَها منذ زمن!

قدَّمَتْ لهم الشاي وهي تقول لـ «هدى»: ماذا تقولين؟!

نظرَتْ «هدى» إلى الشياطين، فأشار «أحمد» من طرف خفي إليها أن تقبل، فقالت «هدى»: إن ذلك سوف يُسعدنا تمامًا، وأظن أنه لن يعترض أحد من الزملاء!

قال «أحمد»: بالعكس، سوف نكون سعداء ونحن في صحبة الآنسة «خديجة».

ابتسمَتْ «خديجة» وقالت: بل قُل في صحبة «خديجة» فقط، وأظن أننا متقاربون في العمر.

أخذوا يرشفون الشاي وقال «باسم»: إنه شاي مُمتِع فعلًا، وهذه أول مرة أذوق فيها الشاي بالنعناع.

سأل «بوعمير»: هل هناك فرصة لمشاهدة القرية الآن؟

ردَّت «خديجة»: أظن ذلك سوف يكون أحسن إذا كنا نهارًا، إن عندنا مراسم يعمل فيها الرسامون بالرسم، وأشغال السجاد، والنحت وما إليها، وسوف يكون ذلك نهارًا، أما الآن يوجد شارع واحد تستطيعون أن تمشوا فيه على شاطئ المحيط!

وقال «أحمد»: إذن، هذه رحلتنا الليلة، شاطئ المحيط!

عندما انتهوا من الشاي قالت «خديجة»: هل تُحِبُّون أن ننصرف الآن؟

في حركة واحدة وقف الشياطين، وأخذوا طريقهم إلى الباب وأصبحوا خارجه، قال «أحمد»: إننا يمكن أن نعرف الكثير من «خديجة» خلال سيرنا، لا نريد أن يكون حديثنا محصورًا في دائرة واحدة!

انضمَّتْ إليهم «خديجة»، وانطلقوا ليقطعوا الحارات الملتوية إلى شاطئ المحيط، كان صوت الموج يملأ الفضاء وهو يرتطم بالصخور الموجودة لتحمي القرية من المحيط، فعادة تتعرض المدن الساحلية لطغيان البحر، ما لم توجد حواجز صخرية، وكان الهواء شديدًا، إلا أن ذلك لم يمنع الشياطين من الاستمرار في السير، كانت محلات صغيرة منتشرة على الجانب الآخر من الشارع؛ محلات للطعام أو للمشروبات، ومحلات تبيع المنسوجات المغربية المنقوشة بنقوش عربية بديعة …

اقترب «أحمد» من «خديجة» التي كانت تسير بجوار «هدى» وسألها: متى سيعود الوالد؟

ابتسمت «خديجة» وقالت: لقد خرجوا إلى الصيد منذ أسبوعين، وهذا يعني أن وصولهم قد أصبح قريبًا!

فجأة قالت (وهي تشير إلى المحيط): انظر ... هذه علامتهم، إنهم فعلًا في طريق العودة، وقد يَصِلُون عند منتصف الليل أو عند الفجر!

كانت هناك نقط مضيئة تتأرجح في عمق المحيط بعيدًا ولا يصل البصر إلا إليها، أضافت «خديجة»: عادة عندما يقتربون يشعلون ضوءًا عاليًا حتى نعرف!

سأل «أحمد»: ومتى يخرجون للصيد مرة أخرى؟

أجابت «خديجة»: هذه مسألة يحدِّدها أصحاب مراكب الصيد، وعادة يظلون هنا أسبوعًا، ثم يستعدون للخروج إلى البحر مرة أخرى!

كان الشياطين يستمعون إلى حوار «أحمد» و«خديجة» باهتمام، ولم يسأل أحد منهم أي سؤال، فقد تركوا «أحمد» يحاورها حتى لا يبتعدون بأسئلتهم عن دائرة المغامرة، لكن فجأة قال «باسم»: أظن أن السباحة هنا تكون شيئًا مغريًا!

ابتسمت «خديجة»، وقالت: عندما يكون الماء هادئًا، ففي مثل هذا الموج لا أظن أن أحدًا يستطيع السباحة!

قالت «هدى»: أتمنى أن أرى أحد «الدرافيل»، فهو يذكِّرُني بما مضى، أيام أنْ كنا صغارًا وكنا نخاف منها!

ردَّت «خديجة»: إنها لا تظهر بالليل، فلونها الرمادي يجعلها قريبة من لون الليل والماء!

قطعوا الشارع الطويل، وبدأ «باسم» يشعر بالبرد، فقال: ينبغي أن نعود.

ابتسمت «خديجة، وقالت: لا بد أنك شعرتَ بالبرد، فالجوُّ فعلًا بارد هذه الليلة!

قالت «هدى»: كنتُ أتمنى أن أرى قوارب الصيد وهي عائدة من رحلتها!

ردَّت «خديجة»: إنه منظر بديع فعلًا، فوجوه الصيادِينَ تعلوها الفرحة لأنهم عادوا إلى الأرض؛ لأن البحر — كما يقول والدي — نوع من الصراع العنيف!

كانوا قد بدءوا رحلة العودة، لكن فجأة لمع ضوء قوي جذب أنظارهم، كان الضوء يأتي من البحر.

فقالت «خديجة»: هذا يعني أن الريح معهم، وأنهم سوف يصلون بعد قليل!

أسرعت «هدى» تقول: إذن، سوف أنتظر حتى يصلوا.

ثم نظرَتْ إلى «باسم» قائلة: وأظنُّكَ سوف تنتظر!

ابتسم «باسم» وقال: فليكن ذلك في صحن القلعة، لأنني لم أعد أحتمل الريح والبرد.

أسرعوا في سيرهم في اتجاه القلعة، التي كانت تبدو في الظلام وكأنها حيوان أسطوري بأبراجها التي تشق الفضاء، وعندما أصبحوا هناك احتموا في أسوارها، وقال «باسم»: هنا ... يمكن الانتظار ... حتى الصباح.

أخذَتْ «خديجة» تتحدث إليهم عن آخر مهرجان فني أقيم في صحن القلعة، المطربون والممثِّلون وفِرَق الرقص والتمثيل والعازفون، وكيف كانت الليلة تبدأ في الثامنة، وتستمر حتى الثانية صباح اليوم التالي، وكيف تصبح «أصيلة» وكأنها شعلة من النور والحركة، فالقادمون إليها يأتون من كلِّ مكان في العالم، ثم علَّقَتْ ضاحكة: الطريف أن «الدرافيل» ظهرَتْ بكثرةٍ أيام المهرجان.

نظر الشياطين إلى بعضهم نظرات سريعة، وعلَّق «بوعمير»: لعل الموسيقى والرقص والغناء يجذب «الدرافيل» هي الأخرى!

ثم سأل بسرعة: هل رأيتِ «درفيلًا» عن قُرب.

أجابت «خديجة»: رأيته في البحر فقط.

سأل مرة أخرى: وهذه الأيام ألا تظهر الدرافيل؟

أجابت «خديجة»: تظهر ليلًا، ولو أننا انتظرنا فعلًا حتى وصول قافلة الصيد، فربما شاهدنا أحدها وهو يسبح ببراعة بجوار المراكب!

سأل «مصباح»: هل يتعامل الصيادون مع «الدرافيل».

ابتسمت «خديجة»، وهي تقول: نعم، فـ «الدرافيل» أصدقاء الصيادين!

فجأةً، حملت الرياح أصوات غناء الصيادين، فقالت «خديجة»: إن القافلة اقتربت!

وانتظر الشياطين، أخذوا طريقهم إلى شاطئ المحيط، ورغم برودة الجو، إلا أنهم كانوا في انتظار أن يظهر «درفيل» ما وسط الضوء الذي بدأ ينتشر باقتراب القافلة.

# عم «عابد» ... هل ينضم للشياطين؟

لم يكن هناك شيء غير عادي، بعض الرجال وبعض النساء وصلوا، ووقفوا على الشاطئ في انتظار المراكب التي كانت تقترب بسرعة، زادت الحركة في المقهى القريب وازداد الضوء فيه، قال أحد الواقفين: إنهم محظوظون فالرياح معهم!

ردَّ الآخَر: إن المد أيضًا معهم، وإلا اضطُرَّت المراكب إلى البقاء حتى الصباح.

كان الشياطين يستمعون إليهم في اهتمام، في نفس الوقت كانت المراكب تقترب، وصوت الماكينات يأتي واضحًا، كانت أضواء خافتة تزحف على سطح الموج مع اقتراب القافلة، فيبدو المنظر وكأنه لوحة مرسومة بعناية، فجأة لمع جسم رمادي في الماء ثم اختفى، وصاحت «خديجة»: هل رأيتموه، لقد ظهر واختفى بسرعة.

ثم أضافت بعد لحظة: سوف يظهر مرة أخرى، فترقَّبوا الضوء على سطح الماء.

مرَّت لحظات، ثم فجأةً ظهر «درفيل» بلونه الفضي يقفز خارج سطح الماء ثم يغوص مرة أخرى.

قالت «خديجة»: هل شاهدتموه؟

ردَّت «هدى»: نعم، لقد كان واضحًا تمامًا!

قال «باسم»: لعله «درفيل» واحد، هو الذي يقفز ثم يختفي!

قالت «خديجة»: وربما أكثر من واحد، فأنت لا تستطيع تمييزهم من بعض!

وصل أول مركب للصيد، مركب كبير، اختفى صوت الماكينات، وبدأ صوت الرجال، نادى أحدهم: عليُّ بن عيسى هل أنت موجود؟ ردَّ واحد من الشاطئ: موجود يا ريس!

قفز الرجال في الماء القليل قرب الشاطئ، ثم بدأت كميات السمك تظهر، كميات كبيرة، كانوا يحملونها في طاولات خشبية، همسَتْ «هدى» في أذن خديجة: إنني لا أرى أباكِ بينهم!

ردَّت «خديجة»: لعله في المركب الآخَر!

توالى وصول المراكب، وتوالى وصول الصيادين، فجأةً هتفَتْ «خديجة»: هذا أبي.

جاء صوت هادئ عميق: «خديجة»، هل أنت هنا؟

ردَّت بفرح: نعم يا أبي، ومعي أصدقاء في انتظارك!

قال الرجل: مرحبًا بهم!

وعندما وصل إليهم، حيَّاهم في حرارة، وقال ضاحكًا: لقد رأيتُ نورًا على الشاطئ، ولم أكن أظن أنكم هنا!

ابتسم «أحمد»: وشكره على تحيته الرقيقة.

فقال الرجل: هيا الآن إلى الدار، وسوف ألحق بكم!

في الوقت الذي كانت الكلمات تدور بين «أحمد» و«عابد بن حسن» (والد «خديجة»)، كان بقية الشياطين يراقبون ما يدور، لكنهم لم يشاهدوا شيئًا غير عادي، طاولات السمك، يحملها الرجال إلى داخل القرية، ولا شيء آخَر.

قالت «خديجة»، هيا بنا ننتظر أبي!

تحرك الشياطين في اتجاه البيت، وقد استغرقوا في التفكير، كانت «هدى» قد أخذَتْ «خديجة» وسبقتهم حتى تعطيهم فرصة للحديث دون أن تشعر «خديجة» بشيء.

قال «باسم»: هل شاهد أحدكم شيئًا غير عاديٍّ؟

ردَّ «بوعمير»: لا شيء، ولا أظن أنهم المقصودون!

قال «مصباح»: أظن أنهم لن يكشفوا أنفسهم أمام الجميع، فلا بد أن هناك أعمالًا أخرى.

سأل «باسم»: ما رأيك؟

ردَّ «أحمد»: رأيي أن المسألة ليست بهذه البساطة، وأظن أننا يجب أن نُشرك والد «خديجة» معنا!

هتف «بوعمير» بسرعة: كيف؟

أجاب «أحمد»: إن المعلومات التي لدينا تتعلَّق بال «درافيل» وكيف يستخدمونها في جلب المخدرات، ولن يعطينا معلوماتٍ كافيةً غيرُه، فالمؤكد أن الصيادِينَ الطيِّبِينَ لا يشكُّون في شيء، لكن إذا طرحنا شكوكنا ولفتنا نظره فإن الأمور سوف تتجه اتجاهًا آخَر.

سكت لحظةً ثم أضاف: حتى لا نسبق الحوادث، دعونا الآن نصل إلى البيت ثم نرى!

صمت الشياطين، واستمروا في طريقهم حتى البيت، وهناك أدخلتهم «خديجة» في قاعة واسعة مفروشة بطريقة عربية، وابتسمَتْ قائلة: هذا مكانكم، أمَّا «هدى»: فسوف تنام معي!

وقالت بسرعة: هل تسمحون لي بـ «هدى» ونترككم وحدكم، وسوف يأتيكم أبي.

نظرَتْ «هدى» إلى «أحمد»، بسرعة، الذي قال بنظرة فهمتها، ثم أضاف مبتسمًا: على ألا تخرجا وحدكما في الصباح!

تمنَّت لهم «خديجة» نومًا هادئًا، ثم انصرفت هي و«هدى». كانت الوسائد تملأ المكان، فاختار كلٌّ منهم ما يحتاجه منها، وما كادوا يتمدَّدون، حتى جاء صوت «عابد»: هل نام الأصدقاء؟

ردَّ «أحمد»، بسرعة: نحن في انتظارك يا عم «عابد»!

ظهر عم «عابد»: وقد غطَّت وجهه ابتسامة عريضة، قائلًا: أظن أن الوقت متأخر، وأنتم في حاجة إلى النوم، فقد عرفتُ أنكم وصلتم منذ مدة، وأقترح أن نؤجل حديثنا للغد!

قال «أحمد» مبتسمًا: كما تريد، نحن فقط كنا نتمنى الحديث معك!

ابتسم «عابد»، وقال (وهو يأخذ وسادة ويجلس عليها): إذن، فسوف يسعدني ذلك كثيرًا.

ثم قال ضاحكًا: هاتوا ما عندكم، أعرف أن أسئلتكم كثيرة، لكني على استعداد لها!

ابتسم «أحمد»: وقال: هل نطلب أن يكون ما نقوله سرًّا بيننا!

ظهرَتِ الدهشة على وجه الرجل، وقال: إذا كان هناك ما يحتاج لأن نخفيه.

أخذ «أحمد» يشرح لعابد قضيتهم كاملة، والدهشة تملأ الرجل لحظةً بعد أخرى، وعندما انتهى «أحمد» من كلامه، قال «عابد»: هذا كلام خطير جدًّا، إنكم يا أبنائي تفتحون عيوني على أشياء لم تكن تلفت النظر، فنحن — الصيادِينَ — نعتبر علاقة «الدرفيل» بالصياد علاقة عادية، كأنها علاقة بين صديقَينِ، لكن ما تقولونه يجعلني أعيد النظر!

كان الشياطين ينظرون إليه، وقد شرد واستغرق في التفكير، لكن «بوعمير» قطع الصمت متسائلًا: ألا يفعلون ذلك في الليل!

نظر له «عابد» لحظةً ثم أجاب: إن الحراسة مشددة على طول الساحل يا بني، ولا يستطيع أحد أن يفعل شيئًا.

قال «أحمد»: ألم تلحظ شيئًا غير عادي في علاقة «الدرافيل» بهؤلاء الصيادين الغرباء؟

ظلَّ الرجل ينظر إلى «أحمد» لحظةً ثم قال: دعني الليلة أفكِّر، إن كلامك قد أدار رأسي حتى إني لا أعرف ماذا أقول الآن؟

ثم فجأةً وقف وهو يقول: فليكن ما بيننا سرًّا، إنني لا أعرف كيف أشكركم على مهمتكم، وغدًا سوف يكون لنا حديث طويل، تصبحون على خير!

ثم غادر «عابد» المكان، ظل الشياطين في حالة صمت، وقد دارَتْ أسئلة كثيرة في رءوسهم، صمتُ الرجل وشروده، وتأجيله للحديث حتى الصباح، قطع «أحمد» الصمت قائلًا: أقترح أن ننام الآن، وغدًا تكون لنا جولة أخرى!

جذبَ كلٌّ منهم غطاءه وتمدَّد فوق الوسائد، شرد «أحمد» يفكِّر: هل كانت مفاجأة فعلًا، أم أن «عابد» ادعى الدهشة فقط؟ وهل أصابَ عندما أخبره بالحقيقة؟ فقد ينكشف موقفهم.

ظلَّت الأسئلة تُلِحُّ على رأس «أحمد»، لكنه في النهاية قرَّر أن ينام، فالقلق لن يحل مشكلة.

كان «أحمد» أول مَن استيقظ، فتح عينيه ونظر إلى النافذة، كان ضوء الصباح يتسلل من بين الزجاج الملوَّن، فيعطي انعكاسات جميلة، بينما كان بقية الشياطين لا يزالون نائمين.

فجأةً جاء صوت «عابد»، يقول: هل أنتم نائمون يا أبنائي؟

ردَّ «أحمد»، بسرعة: لا يا عم «عابد» نحن مستيقظون!

وقبل أن يظهر «عابد» كان الشياطين جميعًا قد استيقظوا، في دقائق كانوا قد اغتسلوا، وجاءت «خديجة» و«هدى» بالفطور، وجلس الجميع يأكلون، فجأةً سأل «مصباح»: هل يتحدث هؤلاء الصيادون الغرباء العربية؟

ردَّ «عابد»: نعم يا ولدي يتحدثونها بطلاقة!

سأل «باسم»: من أين هم؟

ردَّ «عابد»: يقولون إنهم من أمريكا اللاتينية، وإنهم يتنقلون من مكان إلى مكان وراء الصيد!

سأل «أحمد»: وهل تسمح لهم السلطات بذلك؟

ردَّ «عابد»: نعم، ولكن في حدود القانون!

فجأةً وقف «عابد» وقال: سوف أترككم لبعض الوقت، فما زلت أبحث عن إجابة لأسئلتكم بالأمس، وأرجو أن أعود بها!

انصرف «عابد» واستغرق الشياطين في تناول فطورهم، لكن «أحمد» تردَّد في خاطره سؤال: هل سيعود «عابد» وحده، أم أنه سوف يصحب بعضًا من هؤلاء الصيادِينَ الغرباء معه؟!

وتردَّد السؤال مراتٍ، ولم يَصِل معه إلى إجابة.

# معركة ... تحت الماء!

لم يعرف الشياطين ماذا يفعلون الآن، فعليهم أن ينتظروا عودة العم «عابد»، فسوف تكون عودته بداية تحرُّكهم، وهم الآن يقتربون من الخطوة الأخيرة، بعد أن اختَصرَتِ الظروف كلَّ شيء، فقد كان المفروض أن ينزلوا القرية، وأن يتعرفوا إلى أهلها، وأن يحاول أحدهم تقديم نفسه كباحث عن عمل، ثم تأتي بقية الخطوات، لكن ظهور علاقة «هدى» بـ «خديجة»، ثم ظهور العم «عابد» كصياد مع هؤلاء الغرباء، كل ذلك اختصر الطريق أمامهم، ولم تَعُد سوى لحظة الاكتشاف قالت «خديجة»: ما رأيكم، هل نخرج الآن لنشاهد القرية والمراسم التي فيها؟!

ردَّ «أحمد» بسرعة (حتى لا يعطي أحدًا من الشياطين فرصة التصرف): لقد اتفقتُ مع العم «عابد» أن أنتظره، وأظن أنه لن يغيب، وأقترح أن يخرج بعضُنا معكِ لمشاهدة معالم قريتكم الجميلة، ثم نستطيع في وقت آخَر أن نقوم بالجولة كلنا معًا!

فهم «باسم» ما يرمي إليه «أحمد»، فقال: سوف أكون سعيدًا لو دخلت القلعة وتعرَّفتُ على معالمها.

ابتسمَتْ «خديجة» وقالت: سوف نضرب عصفورَينِ بحجر واحد، فالمراسم موجودة كلها أسفل القلعة.

قفز «باسم» صائحًا بطريقة تمثيلية: إنني على استعداد الآن!

وحدَّد «أحمد» مَن ينصرف ومَن يبقى، فقد خرجَتْ «هدى» و«باسم» و«مصباح» في صحبة «خديجة»، وبقي «بوعمير» و«أحمد» فقط، وعندما أصبحا وحيدَينِ، قال «بوعمير»: أخشى أن نكون قد تسرَّعنا في إطلاع العم «عابد» على مهمتنا!

قال «أحمد» بعد لحظة: لقد فكَّرتُ في ذلك قبل أن أتحدَّثَ إليه ... لكن الذي شجعني هو أن المواطن العربي يهتم بشئون بلده تمامًا، ويدافع عن وطنه حتى النهاية أيضًا،

فكما رأينا، إن «العم عابد» إنسان طيب تمامًا، ويبدو هذا واضحًا من تصرفاته معنا، فهو يعاملنا وكأننا أبناؤه ... ولا أظن أنه يمكن أن يغدر بنا!

مرَّت لحظات قبل أن يقول «بوعمير»: أرجو أن يكون ذلك صحيحًا.

لم يمضِ وقت طويل، فقد ظهر العم «عابد»، كان يبدو مهمومًا، حتى إن ذلك أفزع «أحمد» و«بوعمير»، قال الرجل: يبدو أن ما تقولونه صحيح.

سأل «أحمد» بسرعة: هل توصَّلَ العم «عابد» إلى شيء؟

قال «عابد»: نعم، لقد استرجعتُ كل ما حدث منذ ظهور هؤلاء الغرباء في قريتنا، كيف تودَّدوا للناس، وكيف ظهرَتْ مراكب الصيد، وكيف دفعوا مُرتَّبات ضخمة للعامِلِينَ، وكيف ظهرَتِ الدرافيل بظهورهم، فنحن عادةً نعرف أعدادها التي تصل إلينا، أو تظهر أمامنا. صمتَ لحظة، ثم أضاف: الغريب أن ذلك لم يلفت نظرنا، فلم أرَ «درفيلًا» مختلفًا عن بقية «الدرافيل»، ولم يلفت نظري أن بعضها لم يكن يقفز في الماء كبقية «الدرافيل»، أيضا كنت أشاهد الغرباء وهم يتعاملون مع «الدرافيل» بطريقة غريبة، كنت أظن أنها مسألة عادية.

صمتَ مرةً أخرى، كان يبدو حائرًا حزينًا، بينما كان «أحمد» و«بوعمير» يتابعانه، قال فجأةً: لقد قابلتُ زملاءكم في طريقهم إلى القلعة.

ابتسم «أحمد» وقال: لقد انتظرناك يا عم «عابد»، وقصدنا أن يخرج بعضُنا حتى لا نلفت نظر أحد.

ابتسم العم «عابد» ابتسامة حزينة وقال: كم أنا سعيد بكم تمامًا.

مرَّت لحظة قبل أن يقول: إن الدرافيل الكثيرة التي ظهرت منذ مجيء الغرباء لم تظهر الليلة الماضية، وما ظهر منها هي «الدرافيل» الحقيقية، فقد كانت سعيدة بالضوء وبوجودنا ...

قال «بوعمير»: ربما تظهر في وقت آخَر.

ردَّ العم «عابد» في شرود: ربما.

ثم أطرقَ مفكرًا لحظةً، لكنه فجأةً قال: هل لديكم ملابس للغوص!

أسرع «أحمد» بالرد: نعم.

قال «عابد»: إذن، فلتكن لكم نوبات حراسة، فأنا لا أعرف يقينًا متى تظهر هذه «الدرافيل» الصناعية، وهي قد تظهر في أي وقت، وأنا أشك في ظهورها بالليل، لأن الحراسة على الشاطئ جيدة طوال الليل، وما دامت هذه خدعة مرسومة بعناية، فإن ظهور «الدرافيل» بالنهار لن يلفت نظر أحد، خصوصًا وأن الناس قد تعوَّدَت على ظهورها!

سأل «بوعمير»: وماذا تقترح!

قال العم «عابد» أقترح أن تتناوبوا الحراسة، كل اثنَينِ منكم يقومان بالحراسة لعدة ساعات حتى تظهر الدرافيل، ثم نرى!

سأل «أحمد» بسرعة: ومتى نبدأ!

قال العم «عابد»: من الآن حتى لا نضيع وقتًا، وحتى لا نعطيهم فرصة للتصرف!

ثم أضاف: وحتى لا نكشف أنفسنا، فما زلتُ حتى الآن لا أصدق، برغم الشكوك الكثيرة التي تدور في رأسي!

قال «أحمد»: إذن، سوف نترك رسالة تعطيها للزميلَينِ «باسم» و«مصباح» ليكونا جاهزَينِ في نوبة حراستهما، وعليك يا عم «عابد» أن توجههما، وإن كانا يعرفان مهمتهما جيدًا.

وقف «أحمد» و«بوعمير»، فقال العم «عابد»: سوف نخرج إلى أقصى القرية، ومن هناك سوف تبدأ رحلتكما إلى نفس المكان الذي نزلنا عنده أمس عند عودتكما من الصيد، وسوف أشرح لكما.

أخذ العم «عابد» يشرح لهما كيف يحدِّدان المكان بالضبط، قال إن هناك صخرة بها كهف مستطيل أسفل الماء، وبهذا الكهف توجد عدة سلاسل لربط المراكب، ولا توجد صخرة غيرها بها هذه السلاسل ... عند هذه الصخرة تظهر «الدرافيل»، ثم قال: الآن، هيا بنا، وسوف أكون قريبًا من الشاطئ حتى أراقب ما يدور!

أخرج «أحمد» من حقيبته جهازًا لاسلكيًّا صغيرًا، وقال للعم «عابد»: سوف يكون هذا الجهاز وسيلة الاتصال بيننا.

ثم أخذ يشرح للعم «عابد» طريقة تشغيل الجهاز وكيف يمكن أن يرسل لهم أو يستقبل منهم.

ثم قال في النهاية: وسوف تكون «هدى» معك، وهي تعرف كل شيء!

غادروا البيت إلى طرف القرية، وهناك فتح لهم مخزنًا دخلوه وأبدلوا ثيابهم ولبسوا ملابس الغوص، ثم أسرعوا إلى المحيط، واختفيا في الماء، في نفس الوقت عاد العم «عابد» إلى نفس المكان الذي رسَتْ عنده المراكب ... في أعماق الماء.

كان «أحمد» يسبح بسرعة، وخلفه «بوعمير»، ظهرت كتلة سوداء أمامهما، تحسَّسها «أحمد» وعرف أنها إحدى الصخور، دارَ حولَها، لكنه لم يجد الكهف الذي حدَّده العم «عابد»، تركا الصخرة واستمرَّا في طريقهما، تعدَّدت الصخور حتى وصلا في النهاية إلى

الصخرة المحدَّدة، دار «أحمد» حولها فوجد الكهف، ووجد السلاسل الحديدية، تحدَّث إلى «بوعمير» بالإشارات، كان عليهما أن يبقيا في مكانهما حتى يظهر شيء.

فجأةً، ظهر أحد الغواصين، أسرع «أحمد» و«بوعمير» بالاختفاء وراء الجانب الآخَر من الصخرة، كانا يراقبانه، فجأةً ظهر آخَرُ، ثم ثالثٌ، نظر «أحمد» إلى «بوعمير» وتحدَّث إليه بالإشارات، قال: إن العملية توشك أن تبدأ، فجأةً ظهر أحد «الدرافيل» كان يتجه ناحية الرجال الثلاثة مباشرة، وعندما وصل إليهم توقف تمامًا، كانت كل التفاصيل واضحة أمام «أحمد» و«بوعمير»، فجأةً بدأت العملية، ضغط أحدهم على بطن «الدرافيل»، فانفتحت فتحة صغيرة، مد الغواص يده وأخرج كيسًا أبيض اللون، قال «أحمد» بالإشارة: هذه هي المخدرات!

أخرج الغواص كيسًا آخَر، وثالثًا، قال «أحمد» بالإشارة: ينبغي أن نبدأ قبل أن يتصرف أحد منهم!

في أقل من دقيقة كانا يشقان الماء في طريقهما إلى حيث الغواصِينَ الثلاثة، ولم يلتفت أحدهم، فقد كانا مشغولِينَ بالمخدرات التي تخرج من بطن «الدرفيل» عندما اقترب «أحمد» من أحدهما، تمدَّد تمامًا حتى أصبح كالسهم، ثم اندفع بقوة في اتجاه الغواص، لكنه قد التفت، فشاهد «أحمد»، وتنحى جانبًا، فاندفع «أحمد» إلى الفراغ، لكن «بوعمير» كان قد اندفع هو الآخَر في اتجاه الرجل، كانت يده ممدودة في قوة، فأصابت بطن الرجل الذي انحنى بشدة الضربة، في نفس الوقت كان الآخَران قد اندفعا في اتجاه «أحمد»، الذي انتظر توقيتًا مناسبًا، ثم فتح ساقيه، وعندما اقتربا تمامًا، ضرب كلًّا منهما فالتوى لعنف الضربة، بينما كان الصراع مستمرًّا بين «بوعمير» والرجل الأول، فشاهد «أحمد» أكياس الهيروين البيضاء وهي تتهاوى إلى قاع المحيط.

فجأةً، ظهر عدد آخر من الرجال، فكَّر «أحمد»: هل ظهرَتِ المعركة على سطح الماء؟!

ضغط زرًّا في جهاز الإرسال، ثم أتبعها بعدة ضغطات سريعة، ولم تمضِ دقيقة، حتى كان الرد قد وصل، التفت الرجال حول «أحمد» و«بوعمير»، فجأةً، ظهرَتِ الخناجر، نظر «أحمد» نظرة سريعة إلى «بوعمير»، ففهم ماذا يعني، إنهما قد يخسران المعركة، لكن ما حدث غيَّر كل الموازين، فجأةً ظهر «باسم» و«مصباح»، ودارت المعركة، اندفع أحدهم في اتجاه «بوعمير»، إلا أن «بوعمير» كان ينتظره بحرص، فعندما اقترب تمامًا دار «بوعمير» نصف دورة حول نفسه، ثم أمسك بذراع الرجل وسدَّد إليه ضربة عنيفة، على أثرها تهاوى إلى القاع، ألقى نظرة سريعة في اتجاه بقية الشياطين، كانت هناك معركة حامية لم يدخل

الشياطين مثلها من قبل، فقد وضح أن الغواصِينَ رجالٌ مُدرَّبون على معارك الماء، لكن الشياطين كانوا — هم الآخَرِينَ — يجيدون مثل هذه المعارك.

فجأةً، ظهر ضوء قوي، عرف «أحمد» أن مصدره سطح الماء، ففهم كلَّ شيء بسرعة، وعرف أن العم «عابد» قد تصرف جيدًا.

فجأةً أيضًا، كان رجال حرس السواحل المغاربة قد شكَّلوا حلقة واسعة، أخذَتْ تضيق عليهم، ولم يكن أمام العصابة إلا التوقُّف عن المعركة، فقد عرفوا أنهم خسروا المعركة تمامًا، وفي دقائق كان الجميع يصعدون إلى سطح الماء، حيث كان لنش السواحل في انتظارهم.

قال الضابط لـ «أحمد»: لقد قدَّمتم لنا عملًا عظيمًا!

ردَّ «أحمد» مبتسمًا: إنها بلادنا في النهاية!

على الشاطئ كان يقف العم «عابد» و«خديجة» و«هدى»، عندما وصلوا أخذ يحتضنهم الواحد بعد الآخَر، وهو يقول: أنا سعيد بكم وفخور!

تقدَّم إليه الضابط يشكره على معونته للأصدقاء، وقال: اسمح لي أن أحتفل بهم.

فضحك العم «عابد» وهو يقول: ليس قبل أن أحتفل بهم!

وكانت ليلة رائعة، فقد أقامت القرية احتفالًا لهم، لكن فجأةً وصلت رسالة من رقم «صفر» تُهنِّئُهم وتطلب منهم العودة فورًا، فهناك مهمة أخرى.

هنـــداوي